

من الأمثال النبوية دراسة بلاغية
From the proverbs of the Prophet
Rhetorical study

دا عابدة عبد العزيز محمد قطب زعلوك

استاذ مساعد بكلية الآداب ا جامعة الجوف ا المملكة العربية السعودية
 ومدرس بكلية الدراسات الزقازيق ا جامعة الأزهر ا جمهورية مصر العربية
 البريد الإلكتروني ayidaabdelaziz@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/03/04 - تاريخ القبول: 2021/05/13 - تاريخ النشر: 2021/06/01

الملخص: تناول البحث "من الأمثال النبوية دراسة بلاغية" الرسول - صلى الله عليه وسلم - يختار في تربيته وتعليمه لأصحابه أحسن وأفضل الأساليب ، وأقربها للفهم وأشدّها للإنتباه والتثبيت في ذهن السامع ومن هذه الأساليب الأمثال ، والدراسة فيه تقوم على المنهج التحليلي البلاغي وبيان بلاغة الأسلوب النبوي.

الكلمات المفتاحية: الأمثال - النبوية - بلاغة الأسلوب.

Summary of the research: The research dealt with “a rhetorical study of the proverbs of the Prophet” and the Messenger – – chose in his education and teaching to his companions the best and best methods, the closest to understanding and the strongest for the attention and confirmation in the mind of the listener and among these proverbs, and the study in it is based on the rhetorical analytical method and the rhetoric of the prophetic method

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل على عبده الكتاب المبين معجزة خالدة إلى يوم الدين والصلاة

والسلام

على معلم البشرية أجمعين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

شرف الله- عز وجل- الرسول - صلى الله عليه وسلم - سيد المرسلين صاحب المقام المحمود ،بحمل الرسالة وتبليغها للناس كافة ؛ ليخرجهم من ظلام الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ،فنشر العلم ولا زال - صلى الله عليه وسلم -المعلم الأول وكان يختار لأصحابه أحسن وأفضل الأساليب ، وأقربها للفهم وأشدّها للإنتباه والتنثيت في ذهن السامع ، ومن هذه ضرب الأمثال النبوية

والدراسة في البحث تقوم على المنهج التحليلي البلاغي، وبيان بلاغة الأسلوب النبوي، وقد جاءت على

النحو التالي : مقدمة ذكرت فيها أسباب اختيار البحث وخطة البحث

- وتمهيد ومبحثين و خاتمة وثبت للمصادر و المراجع

- المقدمة : تناولت فيها سر اختيار البحث وذكرت فيها خطة البحث.

- التمهيد : ويشمل على التعريف بالأمثال النبوية وبلاغة الحديث النبوي .

المبحث الأول

وسيلة ضرب الأمثال في الترغيب في الطاعة والتقرب إلى الله بمداومة قراءة القرآن

المبحث الثاني (من الأمثال النبوية في الحرص على سلامة الجميع ومنع التعدي على الآخرين

- الخاتمة : ذكرت فيها أهم نتائج البحث.

- ثبت للمصادر والمراجع.

تمهيد

الأمثال

تعريف المثل :

قال الزمخشري : (الأمثال قصارى فصاحة العرب العرياء وجوامع كلمها ونوادح حكمهاوزيدة حوارها وبلاغتها التي أعربت عن القرعاء السليمة حيث أوجزت اللفظ وأشبع

المعنى وقصرت العبارة وأطالت المغزى فأغرقت في التصريح فأغنت عن الإفصاح¹

تعريفه في جمهرة الأمثال فهو: (لَمَّا عرفت العرب أَنَّ الأمثال تضرب في أثر وجوه الكلام وتدخل في جُلِّ أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ ليخفف استعمالها ويسهل تداولها، فهي من أجلِّ الكلام وأنبله وأشرفه، وأفضله؛ لقلته ألفاظها وكثرة معانيها، ويسر مؤونتها على المتكلم، ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت(2)

بلاغة الحديث النبوي :

الحديث النبوي في الذروة ، من البيان ولا فوقه إلا كتاب الله - عز وجل - فحديث رسول الله نزه عن التكلف هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثرت معانيه واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصود في موضع القصر ، وهجر الغريب والوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، لم تسقط له كلمة ولا زلت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار ، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ، ولم يسع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنى ، ولا أبين في فحوى من كلامه(2). - - -

المبحث الأول

وسيلة ضرب الأمثال في الترغيب في الطاعة والتقرب إلى الله

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرَجَةِ (3) رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حَلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ (4)"

المقصود الفرق بين من يقرأ ومن لا يقرأ؛ لبيان حكم العمل مع أن العمل لازم للمؤمن الكامل سواء ذكر أم لا وقال هناك كالحنظلة ريحها مر ، وهنا قال : لا ريح لها فأثبت الريح هناك ونفى هنا ؛ لأن المنفي الريح الطيبة بقريئة المقام والمنبت المر (5) "

ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأترجة - التمرة - الريحانة والحنظلة ، وهي ثمار معروفة ومألوفة عند العرب لتقريب الصور لهم.

"مَثَلُ" أي الحال العجيب الوصف والشأن ، أي صفته العجيبة ذات الشأن من حيث طيب قلبه لثبات الإيمان ، واستراحته بقراءة القرآن ، واستراحة الناس بصوته وثوابهم بالإستماع إليه والتعليم منه(6) "

وهي لبيان ، وإيضاح المعنى المراد ، وضرب المثل ؛ لتقريب المعنى وإضافة مثل إلى المؤمن يجعل المثال مزدوجاً متعدد الصور ، وهذا المثل فيه ربط بين ما يقرأ القرآن والأترجة ، فالأترجة ريحها طيب وطعمها طيب له منافع كثيرة والقرآن كلامه طيب ويظهر أثره على قارنه ، فالقرآن للمؤمن طعم وتلاوته ريح طيب ينشر .

والقرآن له تأثير كبير على باطن المؤمن وعلى ظاهره ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يعلم حقيقة وتفاوت الناس فقسم - صلى الله عليه وسلم - حالهم مع القرآن أقساماً مختلفة ، لبيان علو وارتفاع شأن المؤمن ، وارتفاع عمله بفضل الله ، وكشف انحطاط شأن المنافق وسقوط عمله .

بدأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - الحديث بأسلوب خبري يتسم بالتشويق " مثل " وهي تعني الشبه والمساوي ، وفي حالة نطقها تستدعي المعاني ؛ ليأتي الخبر الذي انتظره المتلقى متشوقاً لمعرفة ، ومن الناس من له نصيب في القرآن أكثر من غيره ف "يقرأ" تفيد تكرار ومداومة القراءة ، فالقرآن منهج الحياة والإيمان لا يتم إلا به ، وقراءة القرآن وتدبره هو إيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه هو الذي نزل عليه القرآن من عند رب العالمين ؛ ليكون منهجاً للحياة وللعباد فيه جميع مصالحهم .

وصرح بلفظ " القرآن " وهو الاسم المختص بكتاب الله دون غيره من الألفاظ ؛ لأنه أوضح الألفاظ وأعرفها، فالقرآن منهج حياة وهو منهج رباني بالقول والعمل .

"الأترجة" خص الأترجة دون غيرها لكثرة منافعها فقراءة القرآن لها أثر طيب على المؤمن في زيادة إيمانه وطيب نفسه وعلو شأنه . قوله : كالأترجة بضم الهمزة ويقال : الأترجة والترنجة وفي التوضيح كالأترجة كذا في الأصول ولأبي الحسن : كالأترجة ، بالنون والصواب الأول لأن النون والهمزة لا يجمعان ، والمعروف الأترج وحكى أبو زيد : ترنجة وترج وقالوا : الأترجة أفضل الثمار للخواص الموجودة منها مثل كبر جرمها ، وحسن منظرها ولين ملمسها ، ولونها يسر الناظرين ، ثم أكلها يفيد بعد الالتداد طيب النكهة ودباغ المعدة وقوة الهضم وشتراك الحواس الأربعة البصر والذوق والشم واللمس في الاحتذاء بها ، ثم إن أجزاءها تنقسم على طبائع : فقشرها حار يابس وجرمها حار رطب وحماضها بارد يابس ، وبزرها حار مجفف ، قوله : كمثل الأترجة وهي شجرة مشهورة ، وفي بعض البلاد تسمى : بطيخ⁽⁷⁾ .

ضرب الرسول - صلى الله عليه وسلم - المثل فيما تخرجه الأرض للمشابهة بينها وبين قلوب البشر والجملة " مثل المؤمن الذي يقرأ القرين كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب " . فالمؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، فإن وجه الشبه في الحقيقة هو لازم الطيب ، فوجه الهيئة الحاصلة من حسن الظاهر والباطن ، فوجه الشبه انتزع من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه " فيكون سبيله سبيل الشيبين يمزح أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الأفراد .

خص الأترجة دون غيرها لأن ريحها طيب وطعمها طيب فيستلذ بها و قيل لأنها أفضل ما يوجد من الثمار ، وفيها من المنافع ما هو مذكور في الكتب " .مثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن " من حيث طيب باطنة لثبات الإيمان فيه وعدم استراحتة بشيء يظهر منه " ، (كمثل الثمرة لا ريح لها وطعمها حلو فاشتماله على الإيمان كاشتمال الثمرة على الحلاوة ، بجامع أن كلاً أمر باطني وعدم ظهور ريح لها يستريح الناس لشمه لعدم ظهور قراءة منه يستريح الناس بسماعها(8) .

أما المؤمن الذي يعمل بالقرآن ولا يتلوه مثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ووجه الشبه بين النخلة والمؤمن عدم السقوط فالنخلة لا يسقط منها ورقة وكذلك المؤمن لا تسقط له دعوة فإذا لم يأخذها في الدنيا فله أجرها في الآخرة فحال المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به في سائر حياته بحال الأترجة الطيبة الطعم والرائحة.

فجاء التشبيه التمثيلي فاهتم بالجانب المرئي المشاهد حيث الصورة المرئية المشاهدة من الواقع المحسوسة بالطعم والرائحة.

"وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ "

(ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن) من حيث تعطل باطنة عن الإيمان واستراحة الناس بقراءته) مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر " فريحها الطيب أشبه قراءته وطعمها المر أشبه كفره ، ومثل المنافقين الذي لا يقرأ القرآن من حيث تعطل باطنة عن الإيمان وظاهره عن سائر المنافع وتلبسه بالمضار (كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) فسلب ريحها أشبه سلب ريحه لعدم قراءته وسلب طعمها الحلو أشبه سلب إيمانه(9) "

الجملة الخبرية؛ لبيان حقيقة هؤلاء المنافقين ، وافتضاح أمرهم ، فهم رجعوا عن الحق بعد أن تدنقوا الإيمان ؛ لاتباعهم الشيطان ، فالمنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، والمنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر ، فالمنافق يخرج منه القرآن الكريم ولا سبيل لدخول نور القرآن إلى قلوب هؤلاء ؛ لعدم تدبرهم لكتاب الله ليقفوا على ما فيه من المواعظ والزواجر التي تدلهم على الحق وتحذرهم من الشر ، فهم مبعدون عن كل خير وحق ، فهم منافقون أظهرها صفات الإسلام بتلاوتهم القرآن لكنهم أبطنوا الكفر وهم أشد عداوة لدين الله ، والله - عز وجل - يعلم حالهم ويعلم سرهم.

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - عرض المعنى في صورة التشبيه ، حيث شبه المؤمن الذي يقرأ القرآن في صورة الأترجة والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، وعمد - صلى الله عليه وسلم - إلى التصوير

البياني لأنه ؛ يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغن أحد منه عنه⁽¹⁰⁾ "

والغرض بضرب المثل في هذا الحديث ليس صورة بلاغية فحسب بل غاية تربوية في الترغيب في الطاعة والتقرب إلى الله ب مداومة قراءة القرآن في كل الظروف " واعلم أن لن تحصوه فتاب عليكم فأقرؤوا ما نيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فأقرؤوا ما نيسر منه⁽¹¹⁾ " □

فمن هجر القرآن الإنصراف عن تلاوته " وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً " سورة الفرقان آية(30) والله - عز وجل - يأمرنا بقراءة وتدبر القرآن " أفلا يتدبرون القرآن " سورة النساء آية (82)، فقراءة القرآن وتدبره تدل صاحبه على كل خير وتحذره من الوقوع في الشر لما فيه من مواظ ، والحديث يبينها إلى أهمية وضرورة قراءة القرآن وتدبره للوصول إلى معانيه ، و لمعرفة أسراره ودقائقه وفهم مراد الله - عز وجل .

المبحث الثاني

من الأمثال النبوية في الحرص على سلامة الجميع ومنع التعدي على الآخرين (عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استنهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استنقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعاً⁽¹²⁾ . "

ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - قاعدة ينبغي على الجميع اتباعها وهي أن الإسلام كفل الحرية لكل فرد في المجتمع يفعل ما يرى فيه المنفعة ، ولكن بشرط ألا تكون في منفعته ضرر للآخرين ، فإذا فعل ما فيه ضرر لغيره فإن على الحاكم أن يتصدى ، له ويمنعه من ضرر الآخرين الذين يشاركونه في المجتمع ، وحرية الفرد في المجتمع لها حدود يجب ألا تعتدي على حرية الآخرين ، لأن الحرية بلا ضوابط وحدود فوضى ، وقد جاء مبدأ ألا تتعدى حرية الفرد حرية الآخرين في صورة حسية حيث ضرب الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثلاً للمتمسك والممتثل بأوامر الله ، والمجتنب النواهي في صنف ، ومن لا يلتزم بالأوامر والنواهي في صنف آخر وجعل - صلى الله عليه وسلم - هذين الصنفين أشبه بجماعة ركبو سفينة وأجروا قرعة فيما بينهم ليقسموا السفينة ، فكان نصيب الصنف الأول في الطابق العلوي من السفينة ومن الطبيعي الماء في متناول أيديهم لكافة أغراضهم وكان نصيب الفريق الثاني الإقامة في الطابق السفلي ، فكانوا لا يستطيعون الأخذ من الماء إلا إذا صعدوا إلى أعلى السفينة ، وبسبب هذه المشقة فكروا أن يحدثوا فتحة في قاع السفينة ؛ليحصلوا منها على الماء دون تعب ومشقة ، فإن تركهم من بأعلى السفينة

على فتح فتحة في نصيهم في أسفل السفينة ، غرقت السفينة بكل من فيها وإن تصدوا لهم ومنعهم نجا الجميع فكذاك إذا تمسك أفراد المجتمع بحدود الله تحقق الخير لكل أفراد المجتمع.

بدأ الحديث بأسلوب خبري يتسم بالتشويق فبدأ بكلمة " مثل " أي الشبه ، وفي حالة نطقها تستدعي المعاني ، وبأني الخبر الذي انتظره المتلقى متشوقاً إلى معرفته.

شبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - شبه حال الناس في تركهم من ضلوا عن سبيل الله ولم يأخذوا بأيديهم ولم يرشدوهم إلى دين الله في وقوع الفساد عليهم بحال قوم في سفينة إذا تركوا من أرادوا إفسادها ولم ينصحوهم ولم يأخذوا بأيديهم إلى الصواب.

بجامع الحرص على سلامة الجميع ومنع التعدي على الآخرين على سبيل التشبيه التمثيلي ، لأنه وجه الشبه وصف منتزع من متعدد فلنتأمل معاً حسن التشبيه التمثيلي ، وكيف أظهر المعقول في صور المحسوس ، ونتأمل أيضاً إخباره - صلى الله عليه وسلم - بحرية الفرد دون أن تضر بالآخرين ولنعلم إن سعادة وتقدم المجتمع في تمسكه بتعاليم الله ، فالتشبيه كأن له أثر في تحريك خيال السامع.

فالهئية الحاصلة من وجوب إصلاح الفساد والحرص على النجاة يلمح فيه القائم على حدود الله تقع عليه مسئولية كبيرة وهي الأخذ بيد الآخرين كمسئولية أهل السفينة وهو حريصون على النجاة فلم يتركوا من أراد إحداث خرق فيها ، وهذا الحديث يظهر لنا أهمية الانضباط في حياة البشر وأن الناس إذا تركوا الفساد يعمهم الفتن فيقع فيها الجميع .

"القائم على حدود الله"

استعار " حدود " لتعاليم استعارة تصريحية أصلية ، ثم - صلى الله عليه وسلم - تناسي الاستعارة ، وكأنه يحدث عن حدود حقيقية تمثلت في " تعاليم " على أنها استعارة لـ " حدود " فقال " القائم " ، وهذا من باب الترشيح للاستعارة ؛ ليبالغ في تناسي الاستعارة ، وهذا أدخل للاستعارة في قوة المعنى وشدة التأثير .

فتراه - صلى الله عليه وسلم - استخدم التصوير البياني عن طريق الاستعارة ؛ ليكون وسيلة من وسائل التعبير ، حيث شبه المعقول " تعاليم الله " بالمحسوس وهي " الحدود " التي يقف عليها الحارس ليريز المعنوي بصورة المحسوس.

والرسول - صلى الله عليه وسلم - يجرى بهذا الأسلوب مع مخاطبيه على المشهور من أساليب العرب " لأن العرب تمثل المعلوم بالشيء المرئي، فإذا سمع السامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهده عياناً (13) " ، وهذا الأسلوب هو تمثيل المعنوي بالمحسوس من أروع الأساليب فهو " المنزلة التي عندها الاستعارة عناية شرفها ، ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفننها وتصرفها(14). "

"الواقع فيها"

استعار من يخالف تعاليم الله بالواقع في الحدود وتخطاها على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، فصور من يخالف تعاليم الله (أوامره ونواهيه) ، بمن يتخطى الحدود ، وترى المحسن البديع الطباقي بين " القائم - الواقع " يوضح المعنى ويؤكدده.

"فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا "

وترى المحسن البديعي المعنوي " الطباقي " بين " أعلاها - أسفلها " له دور في إيضاح وتأكيد المعنى، كما أن المحسن البديعي اللفظي " السجع " كان له دوراً في الموسيقى الداخلية التي تجذب المخاطب " تؤثر فيه ، فرسالة السجع قائمة على التأثير في نفس المتلقى حتى ينال منه أحسن موقع في الدلالة المتناغم (15).

"فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرَوْا عَلَىٰ مِنْ فَوْقَهُمْ "

عرف المسند إليه" الذين " بالموصولية في " الذين في أسفلها " لتمييزهم بتلك الصلة أي أنهم هم الذين في أسفل السفينة فالتعبير بالاسم الموصول " الذين " يزيد المعنى قوة ووضوحاً ، لأنه يرد مبهماً فيدعو العقل إلى التفكير والتأمل ، ثم يظهر معناه بورود الصلة ، وهذا من الإيضاح بعد الإبهام فمجيء المعنى مبهماً ثم موضحاً من وسائل توكيد المعنى وتقديره ، عبر بالسقيا على سبيل العموم أي إذا أرادوا ماء لاستعمالهم .

وفي قولهم " نصيبنا " إضافة النصيب إليهم للتأكيد بطريق الإيجاز أن هذا الخرق في نصيبهم خاصة دون غيرهم ، ولهذا قدم الجار والمجرور "في نصيبنا " بالإفادة قصر الخرق على نصيبهم دون غيرهم قصر صفة على موصوفه وبلاغته التأكيد على هذا الوصف ، وهو الجزء الخاص بهم في السفينة ملازم لهم لا لغيرهم وفي قولهم " لو أنا خرقتنا في نصيبنا خرقاً " دون غيرهم كناية عن عدم إحساسهم بالمسئولية وعدم التدبر في عواقب الأمور .

"لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا "

"لو " حرف موضوع للدلالة على امتناع الجزاء لامتناع الشرط ، وهنا " لو " للتمني ، والتمني هنا ليس بالأداة الأصلية " ليت " بل ب " لو " إشعاراً بعزة المتمني وندرته " الخرق " لأن المتكلم يبرزه في صورة الممنوع لأن " لو " تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

والسر في إيتار " لو " هنا أن لدى هؤلاء القوم الذين في الطباقي الأسفل بعض أمل ضعيف باستجابة طلبهم أو أنهم أرادوا إظهار مطلوبهم في صورة الممكن عزيز المنال .
 قيد المسند المنفي " لم نؤذ " بأداة الشرط " لو " وهو يشير إلى نفي الإيذاء.

وفي الجمع بين الفعل ومصدره " خرقنا - خرقاً " لتأكيد رغبتهم في احداث الخرق ولفظ " خرقاً " مفعول مطلق مؤكد للفعل ، وهذا التأكيد له دور في إبراز الإيقاع الداخلي للعبارة ؛ لانتباه المخاطبين واستمالتهم وتقوية فكرة رغبتهم في احداث خرق في السفينة حتى يحصلوا على الماء بسهولة دور المرور على أهل الطابق الأعلى ، فالإيقاع الموسيقي جزء من العمل الفني .
"وَمَا أَرَادُوا "

التعبير بالاسم الموصول " ما " لإفادة العموم والشمول أي لكل ما أرادوه ، ولتذهب النفس كل مذهب من تخيل إحداث الفتحة.

"فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا ، وَنَجَوْا جَمِيعاً"

فإن تركهم من بأعلى السفينة يفعلون الخرق غرقت السفينة بكل من فيها ، وإن منعوهم وتصدوا لهم نجا الجميع.

قيد الرسول - صلى الله عليه وسلم - الشرط بـ " إن " لإفادة الندرة والقلّة في وقوع الحدث ، فالتعبير بـ " إن " يفيد الشك وعدم تحقق الأمر ، وهذا بخلاف " إذا " ؛ لأنها تفيد تحقق الوقوع.

الفعل " تركوهم - أخذوا " ماضي ، والأصل في إن الشرطية أن يليها الفعل المضارع كقوله تعالى

:

" فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ⁽¹⁶⁾ " ، لأن الفعل المضارع بعد " إن " يفيد الندرة ، ولكن اقتضى السياق أن يأتي بعد " إن " الفعل الماضي ليفيد أن تحقق تركهم في إحداث الخرق أو تحقق منعهم من إحداث الخرق فهذا على سبيل الندرة ، فأساليب الشرط نهضت بأداء وظيفتها.

"هذا اللون من النظم له روعته وبلاغته وبهاؤه ورواؤه وإمتاعه وإقناعه ، فيه انسجام النفس وتوازنها لمحيته على مألوفها ، فأنت معه في ثراء من المعنى ، وهو في ذلك كله دعوى تحمل دليلاً فكل مقدمة تنطق بنتيجتها وكل نتيجة تتطابق مع مقدماتها⁽¹⁷⁾ ."

"تركوهم " عبر بضمير الغائب لتحقير فعلهم وليناسب فعلهم ففي فعلهم احداث خرق في السفينة غياب عن تدبر عواقب الأمور ، وغياب عن الإحساس بالمسئولية.

عطف جملة " وأن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً " على ما قبلها ؛ للتوسط بين الكمالين فالجملتان خبرية لفظاً ومعنى ، وهي كناية عن منع الوقوع في الخطأ.

وإذا نظرنا إلى البناء الصوتي في هاتين الجملتين نجد أنهما اعتمدا على حروف المد ؛ لأنها تكسب الصوت انطلاقاً ولا شك أن الممدود وسيلة من وسائل تصوير المشهد وخصوصاً حرف المد الألف ، تدل بامتداد صوتها على الرغبة في بيان عاقبة الفعل.

كما استخدم - صلى الله عليه وسلم - لفظ " جميعاً " للمبالغة في كثرة أعدادهم ، فإذا هلكوا هلكوا جميعاً ، وإذا نجوا نجوا جميعاً.

وفي قوله " جميعاً ، جميعاً - نجوا - نجوا " محسن بدعي وهو رد العجز على الصدر ، له دور في اعطاء نغمة موسيقية تصغى لها الأذن ، تعمل على تأكيد المعنى وتقريره.

ذكر كلمة " جميعاً " في نهاية كل جملة ، وذلك لنقوية المعنى وتأكيده وتقريره في ذهن المخاطبين في إما هلاكهم جميعاً إن تركوهم أو نجاتهم جميعاً إن أخذوا على أيديهم وهذا يدل على حرص الرسول - صلى الله عليه وسلم - على نجاة الجميع ، فهي كلمة الختام وهي آخر ما يبقى في الأذهان.

فالمقابلة بين الجملتين لزيادة وضوح المعنى وهي ليست للحلية والتزين فحسب بل كان لها الأثر في إظهار التناقض بين الجملتين.

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - علمنا من خلال ضرب المثل ، واتخذة وسيلة تعليمية ليعلمنا وهو خير معلم ، أنه يجب علينا الإلتزام بمنهج الله وحدوده وذلك باتباع أوامره واجتتاب نواهيه وأن نتدبر عواقب الأمور وأن الحرية لها حدود فكل إنسان له الحق في حريته دون أن يضر بالآخرين ونحرص على تقديم المصلحة العامة وعلى حماية المجتمع من الأشرار المفسدين حتى يتحقق لنا الأمان والاستقرار والسعادة لكل المجتمع.

فالأمثال النبوية لم تكن للتصوير فقط بل لها غايات تربوية حتى قربت المعنى ، وأثرت في السامع وربت العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم من التوصل إلى النتائج من خلال المقدمات التي تذكر في معظم الأمثال ، وأخيراً الرسول - صلى الله عليه وسلم - خير معلم ، علمنا بالأمثال لأمتثال الأوامر واجتتاب النواهي حتى نحظى برضا الله - عز وجل - في الدنيا والآخرة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات وترفع الدرجات ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد.. ؛

فهذه خاتمة البحث ومن خلال دراسة موضوع البحث كانت أهم النتائج :

1- أن الله عز وجل - جعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - أسوة وقدوة حسنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْأَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (18) " فكان مثلاً لحسن الخلق والإلتزام بما يؤمر به قال تعال : " وإنك لعلى خلق عظيم " .

2- ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - نموذج تربوي يحتذي به ، وأن الوسائل التي استخدمها لها فاعليتها ، وأن الوسائل الحديثة بينت قيمتها التربوية.

- 3- أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - صاحب أسلوب تربوي لا نظير له ، وعلم دور ضرب الأمثال في تعليم الفرد الذي له دور في خدمة المجتمع.
- 4- وتنوع أسلوبه - صلى الله عليه وسلم - بين الأسلوب الخبري والإنشائي وكان الأسلوب الإنشائي محققاً للقرب فتتوعدت طرائقه
- 5- استخدم - صلى الله عليه وسلم - التشبيه في الوسائل التوضيحية ؛ لتأكيد وتصوير المعنى حتى يثبت في ذهن السامع .
- 6- وكما ركز القرآن الكريم على ضرب الأمثال ؛ ليكون أشد تأثيراً في النفوس فاستخدمه - صلى الله عليه وسلم - في الأساليب التربوية لأنه يتلاءم مع طبيعة النفس البشرية يجب أن نحرص عليه حتى نغرس الإيمان في قلوب السامعين.
- 7- استخدم - صلى الله عليه وسلم - التصوير البياني من خلال استخدامه - صلى الله عليه وسلم - وسيلة ضرب الأمثال؛ ليساعد على إيضاح المعنى وترسيخه عن طريق الصورة الموحية والمعبرة لفهم المعنى ، كما أضفت الصورة على المعنى حيوية وعملت على جذب انتباه السامع ، فجسد الأمور المعنوية في صورة حسية.
- فقال - صلى الله عليه وسلم - " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاها وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقُوا مِنَ الْمَاءِ مَرَوْا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤَدْ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا ، وَنَجَوْا جَمِيعًا⁽¹⁹⁾ . "
- اتخذ - صلى الله عليه وسلم - ضرب المثل من خلال التصوير البياني وسيلة تعليمية للالتزام بمنهج الله وحدوده ، وأن القائم على حدود الله تقع عليه مسئولية كبيرة وهي الأخذ بيد الآخرين إلى الصواب حتى لا يعمهم الفساد والهلاك ، كما علمنا- صلى الله عليه وسلم - أن نتدبر عواقب الأمور ، وأن الحرية لها حدود ، فكل إنسان له الحق في حريته دون أن يضر بالآخرين ، وأن يحرص على تقديم المصلحة العامة وعلى حماية المجتمع من الأشرار المفسدين حتى يتحقق لنا الأمان والاستقرار والسعادة لكل المجتمع.
- فالأمثال النبوية كان لها غابات تربوية فقربت المعنى وربت العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم من التوصل إلى النتائج من خلال المقدمات.
- وفي الختام
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب
التوصيات
- 1- الدراسة المستمرة للأحاديث النبوية.
- 2- عناية البلاغة ببيان الأسلوب النبوي.

3- حسن الخلق والالتزام بما نؤمر به لأتينا عنوان الإسلام .

الإحالات والهوامش

(1) المستقصى أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري دار الكتب العلمية بيروت سنة 1987 ج 2 ص 119

(2) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، دار الفكر العربي، ط2 سنة 1988، ج1، ص04

(3) البيان والتبيين (17 / 2)

(4) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة - باب ذكر الطعام 2070/5 (5111) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضيلة حافظ القرآن 549/1 (797) وأبو داود في كتاب الأدب - باب من يؤمن أن يجالس 259/4 (8429) ، والترمذي في كتاب الأمثال - باب ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ 150/5 (2865) والنسائي في كتابي الإيمان وشرائعه - باب مثل الذي يقرأ القرآن من مؤمن ومنافق 124/8 (5038) وابن ماجه في المقدمة - باب فضل من تعلم وعلمه 77/1 (214) والدرامي في كتاب فضائل القرآن - باب مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن 534/2 - 535 (3362 - 3363) وأحمد بن حنبل (397/4 ، 403 ، 408) وأبو يعلى الموصلي 207/13 (7237) وعبد بن حميد ص 198 (565) والبخاري 14/8 (2985) والبيهقي في شعب الإيمان. (1973) 2/337

(5) عمد القاريء (21/60)

(6) دليل الفالحين (6 / 479)

(7) عمدة القاريء (25 / 200)

(8) دليل الفالحين. (6 / 480)

(9) دليل الفالحين (6 / 480)

(10) الصناعتين . 265 :

(11) سورة المزمل آية 20

(12) أخرجه البخاري في كتاب الشركة - باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه 882/2 (2361) وفي كتاب الشهادات - باب

القرعة في المشكلات 954/2 (2540) ، والترمذي في كتاب الفتن - باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب

469/4 (2173) وأحمد بن حنبل (268/4 ، 270) والبخاري. (3298) 8/237

(13) إعراب القرآن وبيانه 316/1 ، محي الدين درويش (طبعة دار الإرشاد - سوريا 1408 هـ - 1988 م.)

(14) أسرار البلاغة ص : 66 تحقيق محمود شاكر.

(15) المصدر نفسه.

(16) سورة الأعراف آية 131

(17) المعاني في ظلال النظم القرآني 186/1 ، أ. د هاشم الديب.

(18) سورة الأحزاب آية . 21

(19) أخرجه البخاري في كتاب الشركة - باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه 882/2 (2361) وفي كتاب الشهادات - باب

القرعة في المشكلات 954/2 (2540) ، والترمذي في كتاب الفتن - باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب

469/4 (2173) وأحمد بن حنبل (268/4 ، 270) والبخاري. (3298) 8/237

المصادر والمراجع

1- الإتيقان في علوم القرآن لـ جلال الدين السيوطي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثالثة.

2- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني - تحقيق محمد رشيد رضا ومحمود شاكر

3- إعراب القرآن وبيانه محي الدين درويش - طبعة دار الإرشاد - سوريا 1408 هـ - 1988 م.

- 4- صحيح مسلم بشرح مسلم أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 67 هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الثانية 1392 هـ.
- 5- جمهرة الأمثال أبو هلال العسكري ، دار الفكر العربي، ط2 سنة 1988، ج01، ص60
- 6- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين / محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي
- 7- الصناعيين أب هلال العسكري تحقيق د/ مفيد قمحة ، الطبعة الثانية 1404 هـ - 1984 م ، دار الكتب العربية.
- 8- المستقصى أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري دار الكتب العلمية بيروت سنة 1987
- 9- عمدة القاريء شرح صحيح البخاري / أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى 855 هـ)س
- 10- فتح الباري بشرح صحيح البخاري أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) حققه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة - بيروت 1379 هـ
- 11- لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت 711 هـ) دار صادر بيروت - الطبعة الأولى.
- 12- المسند أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت 241 هـ) مؤسسة قرطبة - القاهرة.
- 13- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف أحمد بن محمد المقرئ الفيومي (المكتبة العلمية - بيروت).
- 14- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم / أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي.